الخطبة الحادية عشرة

ولله الأسماء الحسنى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً ملء السموات والأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت يا رب العالمين، اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد كله والشكر كله والثناء الجميل يا إله العالمين، أما بعد:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: 7/ 180].

1- (الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) أي: الأسماء التي بلغت غاية الحسن وتمام الكمال، فهي الأكمل والأتم والأجمل والحسنى ولا يعلوها شيء لأنها لله تعالى، ولأنها أوصافه سبحانه وتعالى، فهو سبحانه ليس كمثله شيء، ولا يماثله شيء، ولا يوازيه شيء، ولا يقارن بشيء، ولا يوصف إلا بما وصف به نفسه سبحانه أو وصفه به رسوله عليه أفضل الصلاة والسلام.

2- (فَادْعُوهُ بِهَا) أي: اسألوه بأسمائه وتوسلوا إليه بها وارجوه بها وتضرعوا إليه بها، وهذا متضمن لدعاء العبادة من التقرب إليه والخضوع والتذلل إليه سبحانه كما قال سبحانه في شرح دعاء العبادة، قال تعالى: ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأعراف: 7/ 56]، وقال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأعراف: 7/ 55].

وأما دعاء المسألة أو دعاء الحاجة، هو دعاء لجلب منفعة معينة خاصة أو عامة أو دفع ضرر أيًا كان شأنه، والدعاء أيًا كان نوعه هو عبادة؛ لأن رسول الله ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة» الترمذي، والدعاء عبادة لأنك لولا إيمانك بأن الله قادر لم تدعه، ولولا إيمانك بأن الله يسمعك لم تدعه، ولولا إيمانك بأسمائه وصفاته وقدرته وملكه لم تدعه سبحانه، فإيمانك به عبادة، ودعوتك ودعاؤك تحقيق هذا الإيمان وتصديقه، لذلك قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 40/ 60].

وعن فضالة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته لم يمجّد الله تعالى، ولم يصلِّ على النبي ﷺ فقال: «عَجِلَ هذا»، ثم دعاه فقال: «إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه عزوجل والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ثم يدعو بعد ما شاء» رواه أبو داود والترمذي، وكان رسول الله ﷺ كما قال ابن عباس رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ كان إذا قام من الليل يتهجد يقول: «اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيّومُ السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق، والنبيون حق، ومحمد حق، اللهم لك أسلمت وعليك توكلت، وبك آمنت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت» البخاري (1120) - مسلم (769)، وقال أهل العلم: ومن الأمثلة القرآنية في أدب الدعاء: دعاء سيدنا يوسف عليه السلام كما في قوله: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: 12/ 101]، قالوا: 1- عدَّد نِعَم الله وأفاضله عليه، 2- أثنى على الله تعالى

ومجّده، 3 – اعترف بفقره وحاجته إلى الله وفضله في الدنيا والآخرة، 4– سأله خير المسألة وهي الوفاة على شهادة أن لا إله إلا الله، الوفاة على الإسلام والتوحيد الخالص لله تعالى، 5– وسأله أن يلحقه بالصالحين الذين رضي الله عنهم، 6– دعاء تذلل وتضرع وتواضع بقوله: ألحقني، وكأن في قوله معنى: إني لا أستحق أن أكون من الصالحين ولا في درجتهم ولكن بفضلك وكرمك وجودك ورحمتك ألحقني بهم وهذا من غاية التواضع لله عز وجل.

3– ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ أي: اتركوهم وأعرضوا عن مجادلة هؤلاء الذين يلحدون في أسمائه سبحانه وتعالى، والإلحاد معناه الميل أي: الميل عن الصحيح، والمَيْل عن الاستقامة، وسمي القبر لحداً؛ لأن الميت يوضع على جنبه، أو أن الميت يوضع على جنب القبر. وأسماء الله سبحانه وتعالى لائقة بالله سبحانه وتعالى، أي كما تليق بجلاله سبحانه وتعالى وأسماؤه تؤخذ من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، وتؤخذ كما جاءت من الله تعالى أو من رسوله عليه الصلاة والسلام بدليل صحيح، والإلحاد في أسمائه تعالى أي: تحريف أو تعطيل أو تكييف أو تمثيل.

فهو سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، أي لا يماثله شيء ولا يشابهه شيء مع أنه سميع بصير، فسمعه ليس كسمعكم وبصره ليس كبصركم، فهو سبحانه وتعالى يسمع ويبصر بما يليق بجلاله وبخاصيته به سبحانه وحده، لا نعرف كيفيتها ولا يحق لنا السؤال عنها. نثبتها له لأنه سبحانه أثبتها لنفسه، ولا ننكرها ولا نعطلها ولا نمثلها ولا نكيفها، لأننا لا نعرف كنهها ولأنه سبحانه أخبرنا عنها، والعلم عن الله سبحانه لا يُعلم إلا من قِبَلِه أو عن طريق رسوله ﷺ، ولا نزيد عما أخبرنا به الله سبحانه ورسوله عنه، نثبت له تماماً على الصفة التي جاءت عنه وعن رسوله من غير زيادة أو نقصان نمررها كما جاءت، ونرضى بما رضي به

الصحابة الأولون الذين أثنى الله عليهم وقبل منهم إيمانهم ورضي عنهم بمحكم كتابه، فيسعنا ما وسعهم، ولا نكلف أنفسنا ما لم نكلف به.

1- فأي إنكار لأي صفة من الصفات هو إلحاد وهو كفر، 2- أي اسم نطلقه على الله سبحانه بغير دليل هذا إلحاد، 3- أي تشبيه بين الله وخلقه فهو إلحاد، 4- اشتقاق الاسم من أسماء الله، كاللات من الإله، والعزى من العزيز ومناة من المنان، هذا إلحاد، 5- أي صفة نقص نطلقها على الله تعالى يكون إلحاداً، كقول اليهود: إن الله فقير، أو النصارى قالت: إن الله أب والعياذ بالله، 6- إنقاص أي صفة عن معناها الأمثل فهو إلحاد، كما قال بعضهم: إن الله عليم، أثبتوا صفة العلم له سبحانه، لكن قالوا: إن الله لا يعلم الحوادث المستقبلية حتى تقع، أي: أنه -والعياذ بالله- لا يعلم ما سيفعله العباد غداً أو الأسبوع المقبل، أو السنة القادمة، فهؤلاء ألحدوا باسم من أسمائه، فهؤلاء كفروا كفراً مخرجًا من الملة، وإذا مات على هذا كان خالداً مخلداً في النار، لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورى: 42/ 12]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 4/ 48]، ومن معاني الإلحاد أيضاً: التكذيب بأسمائه وصفاته سبحانه، 7- ومن معاني الإلحاد أيضاً ضرب الأمثال أي كأن يقال: إن لله يداً ويشير بيده، والله تعالى يقول: ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: 16/ 74].

والتعطيل هو نفي الصفة أو تعطيلها أو زوالها، والتأويل هو حمل الصفة على غير مدلولها، كتأويل اليد بالقوة والسطوة وعندما نقول :إن أسماء الله سبحانه خاصة به وهي كما تليق بجلاله، أي أنه لا مجال للعقل في تفسيرها وتحليلها، فلا يُقاس عليها ولا يماثلها شيء ولا نفهم كيفيتها ولا كنهها، لأن الله سبحانه وتعالى خالق ونحن مخلوقين ومن الأرض وإلى الأرض، فكيف نقيس ونفهم

بعقلنا الأرضي والمحدود الخالق الذي هو لا محدود ولا أرضي، فهذا من المنطق أن يكون خلاف المنطق والمعقول. 8- ومن الإلحاد أن نقبل أسماءً لله تعالى لم ترد في قرآن أو في حديث صحيح. وقد وردت هذه الأسماء في بعض أقوال الناس وفي بعض الأحاديث الضعيفة، فيجب ويلزم عدم قبولها ومن أمثال هذا ما جاء في الترمذي: (السخي والنظيف)، وقال بعض الناس بغير دليل ثابت: إن من أسمائه الصبور، والصادق، والباقي، والغالب ... ، وقال الإمام البغوي: ولا يقبل اسماً ولو كان من اشتقاقات اسم صحيح ...، ولا يقال: منعم؛ وهو من اشتقاقات الرازق أوالرزاق ... وقال أيضاً: لا يشتق اسم من كل ممدوح عقلاً وعُرفاً، لأن اسم الله تعالى يجب أن يكون بدليل شرعي: آية أو حديثاً صحيحاً، فلا يشتق له اسم ولو كان ممدوحاً من غير دليل، كمنعم ومفضل ونظيف وسخي وما إلى ذلك ...

ولا يشتق له من أفعاله أسماء؛ فهذا كله من الإلحاد، كما في قوله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: 9/ 67]، وحاشا لله تلك الصفة، وإنما جاءت على سبيل المشاكلة والمقابلة والمجازاة، كما قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: 42/ 40]، فالسيئة الأولى هي المعصية من صاحبها، أما الثانية فهي عدل من الله تعالى وجزاء على معصية العاصي، فاتفق اللفظان واختلف المعنى، وكذلك لما نسوا شرع الله تعالى وتركوا طاعته سبحانه، حرمهم الله سبحانه وتعالى من جنته ورحمته.

9- وقالوا: إن هناك بعض الصفات لا يجوز إطلاقها على الله تعالى منفردة، بل لا بد من أن تكون مقترنة؛ كالنافع الضار، فلا يجوز أن تقول: ضار لوحدها، وكذلك المُعِزُّ المُذِلُّ ... وهناك صفات منفردة؛ كالحكيم والعليم وما إلى ذلك ... ولا يجوز نفي الصفة عن مسمياتها كأن تقول: سميع بلا سمع، وحيّ بلا حياة ... وما إلى ذلك فهذا كله من الإلحاد في أسمائه سبحانه وتعالى...

والخلاصة أن قول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 42/ 11]، نقول: إنها اشتملت على قاعدتين: 1- إثبات الصفة لله تعالى التي ذكرها الله تعالى أو ذكرها رسوله في الحديث الصحيح، 2- والقاعدة الثانية: أن الله سبحانه وتعالى لا مثيل له ولا شبيه له ولا نِدَّ له لقوله: ليس كمثله شيء، فهذا ينفي كل مماثلة ومشابهة، وكما قلت آنفاً: إن الله سبحانه خالق، وكل شيء غير الله تعالى مخلوق ...

لذلك لا تماثل بين الخالق والمخلوق ... وهذا يؤدي إلى قاعدة ثالثة أخرى وهي: أنه (لا) كيف مع الصفات، فلا تستطيع القول: كيف يسمع؟ وكيف يبصر؟ وكيف يده؟ وكيف ينزل؟، فكما أنك آمنت أنه ليس كمثله شيء، كذلك نؤمن بأن يده ليست كأي يد، ونزوله ليس كأي نزول تتخيله وهكذا في بقية صفاته سبحانه، وقاعدة رابعة أيضاً: أن صفات الله سبحانه مطلقة وليست محدودة، فهو العليم غاية العلم بكل شيء، وبكل زمان وبكل مكان، فعلمه سبحانه مطلق وليس محدود، فهو العليم غاية العلم بكل شيء، وبكل زمان وبكل مكان فعلمه سبحانه مطلق وقدرته مطلقة ورزقه مطلق ...

قال ﷺ: «يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يغض ما في يده، وكان عرشه على الماء، وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع» (حم - ق - ت عن أبي هريرة)، لا يغيضها: أي لا ينقصها، يعني أن يديه سبحانه ملأى مهما أنفق لا تنقص شيء ... وقوله: سَحَاء أي: دائمة الصب، دائمة العطاء، دائمة الفيض ليل نهار، دائماً تصب الخير صباً، سبحانه وتعالى ما أكرمه.

- وردت كلمة مقاليد مرتين في القرآن: قال تعالى: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الزمر: 39/ 63]،

وقال تعالى: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورى: 42/ 12]، والمقاليد هي الخزائن أو المفاتيح، أو مفاتيح الخزائن والكنوز.

وكلمة ما قدروا الله حق قدره ثلاث مرات في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: 6/ 91]، وقال تعالى: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: 22 / 74]، وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: 39/ 67].

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ لها معاني عدة قيل: 1- إننا ما عبدناه حق عبادته، 2- ما فهموا صفاته سبحانه، فنسبوا له الولد والصاحبة، 3- ما قدروا الله حق قدره لمّا أخلّوا بصفاته سبحانه فحرفوها وأولوها وشبهوها بالمخلوق، أو عطلوها، 4- ما قدروا الله حق قدره عندما أخلوا وحرفوا وأبطلوا تشريعه، 5- أو عندما كذبوا بما جاء به رسول الله عليه الصلاة والسلام، 6- أي إخلال في العقيدة وفي أركانها توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات هي من باب ما قدروا الله حق قدره، والله أعلم وأعوذ بالله أن أقول على الله ما لا يرضيه سبحانه.

وقاعدة خامسة: وهي أن الله سبحانه وتعالى لا يمكن للإنسان أن يدرك كيفيته، لأن الله سبحانه وتعالى قال عن نفسه عزوجل: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: 20/ 110]، فلا يمكن أن نفهم وندرك كيفية هذه الصفات الإلهية.

وقاعدة سادسة: لا يجوز أن نصف الله سبحانه وتعالى بأية صفة لا تليق بجلاله

وقدسيته سبحانه وتعالى، ولا تليق بكماله وعلو صفاته، وقد أعطى مثالاً عن ذلك سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ [البقرة: 2/ 255]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف: 18/ 49].

والقاعدة السابعة: أن أسماء الله سبحانه وتعالى غير محددة ولا محصورة في (99) اسماً؛ لأن الرسول ﷺ دعا الله سبحانه فقال: «أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك» صحيح مسند الإمام أحمد.

والقاعدة الثامنة: أسماء الله سبحانه لا تثبت بالعقل وإنما تثبت بالشرع أي: أن أسماء الله سبحانه توقيفية يلزمها نص صريح صحيح من قرآن أو من سنة صحيحة ثابتة، إن الإيمان بالأسماء والصفات أحد أركان التوحيد، فهذا قسم مهم جداً وأرجوه تعالى أن أكون قد وُفِقْت في تلخيص المعلومات والشواهد، وإن قصرت أو أخطأت فمن جهلي وقلة علمي وأستغفر الله تعالى أن أقول أو أكتب ما لا يرضي الله ورسوله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم